تصريفه

يتصرف تصرف اسم الفاعل ، إلّا ان فتح ما قبل الاخر في المصوغ من غير الثلاثي يظهر في المثنى والجمع وهما سواء عند العامة فتقول :

للفرد	الجمع	الجمع
مجروح ـ مجروحة	مجروحين ـ مجروحات	مجروحين ـ مجروحات
امكسر ـ امكسرة	امكسرين ـ امكسرات	امكسرين ـ امكسرات
امعارك ـ امعاركة	امعاركين ـ امعاركات	امعاركين ـ امعاركات

مصطفى جواد

القريض في فن التمثيل

Coup d'œil critique d'un récent opéra arabe.

نظرة تحليلية انتقادية في « مصرع كليوباترا »

في الشرق اليوم نهضة ، بل نهضات في الادب عامة وللشعر مكانه الخاص منها دواما وذلك شأنه في مختلف ايامه عند العرب . وكل من تذوق لذة الادب العربي ورشف من منهله الفياض ، اعجب بذلك الينبوع ينبوع الحرارة المتواترة التي ما تكاد تبيخها الكوارث هنيهة ، حتى تعود فتبهر في فضاء اللانهاية باشد لمعان وبهر نواظر دراسها بالوان قوس قزحها الفاضحة . وهذا ما نكاد نلمحه الان بل نتلمس بوادره الزاهرة ، ويضرمنا الامل ان تكون فاتحة جديدة لعهد جديد طريف . ولسنا نعني بهذا ان ما امامنا يضاهي بفخامته وروعته واناقته وجماله ما كان عليه فن القريض ايام كان له عند بني امية وبني العباس صولة ونفوذ ؛ هذا من جهة ذلك الافتنان والغلو والشدو في الانواع التي تعهدها فيه من اضراب الثناء والمديح والقذع والقذف والتشبيب والغزل والاستبكاء وذكرى الليالي الخوالي ، وما اليها . تلك الوجهة التي نقر بكل تواضع وثقة ان لن يضارعهم فيها احد . فلهم وحدهم قصب سبقها اذ ان عهدها قد بلي وسلم عليه الدهر . وان هنالك من مرام لم يسعنا قبلا (١) وحالا إلّا ان نحاسب عليها

١) مقالنا : الاعشى الاكبر ـ المشرق ١٢ (١٩٢٨) ٩٠٨

العرب ونستغرب فيهم ما دعاهم الى نبذها هذا النبذ الشائن حتى خلت منها آدابنا بل فقدنا فيها ـ واتجاسر ان اصرح ـ اكبر سند ومعوان على تقدمنا الادبي ، ورقينا في فن الشعر ، بل اصدق مؤيد لهذا الرقي والفلاح . واكبر ظننا انها من اهم العوامل على رذل الغربيين لشعرنا ونظمنا فيه . والكثير من الحقائق تؤيده ؛ اذ ليس هـذا الفن الراقي مقتصرا على ان يكون آلة اغراض وغايات ، ووسيلة استعطاف واسترحام بل ضراعة . اذ لو اسعده الحظ بمنحه هذه المنحة فيه ، لارتقى ارتقاءا ساميا ، ولكان على غير ما هو عليه اليوم ، اذ من خصائصها الراهنة ان تبتدع فيه عوامل وعواطف واهواء واجواء يقظة ، تناجز كل المناجزة ما تعرفه فيما لدينا من قديمه وشاهدنا على ذلك الشعر الغربي ، الغني بما يحوطه من ميادين واسعة رحبة يجول فيها ، مبدعا متفننا . وهذه الناحية التي المعنا اليها هذا التلميح الطويل ما هي سوى : فن تأليف الملاحم والقصص التمثيلية . ولو تتبعنا نهضتنا فيه وتأثرناها خطوة خطوة لوجدنا كم اثر في مضمار الشعر العربي العصري ، ولعلمنا حقيقة ما مبلغ نفوذه ووطـأته عليه . واني اقول غير وجل ولا واجف عنفا ولا لوما ، انه من اهم اسباب انتعاش الشعر ويقظته من غفلته بل العـامل الرئيسي في الانتقاض على الطرق القـديمة البائرة ، وهدم الصروح المتهدمة والميل الى الابتكار والتفنن . وانا منذ ماسألناه ورضينا بصحبته واستكنا الى قوانينه كانت نهضة مباركة ، وخطوة جـديدة سعيدة الى الامام . ومع اننا لسنا نرى في بوادر نضجها ما يحقق منها اليوم رجاء بعض آمالنا المتواضعة ـ مع اقرارنا ببعدنا الشاسع عن امثال كورني وراسين وموليير بل لاروستان الابن وجان كوكتو ـ فانا نبصر شعاعا منيرا من فجر ذلك اليوم المتلالىء ونرى جرثومة ذلك الصرح الفخم العتيد !

ويجب ألا نغفل قط ان نشوء هـذه الرغبة صدر من موطن الخيال ومهبط الوحي ، أعني سورية ولبنان . فالاداب العربية انعم عليها بنهضتها الحاضرة ابناء تلك البلاد (١) فالمتقصي تطوراتها يعترف في الحال انه لم يتأت لها نهضة ما في جميع اطوار حياتها ، منذ استيلاء عمر على القدس الى يومنا ذا . إلا كان للشام

١) راجع الاداب العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو .

قسط عظيم بل شرارتها الاولى المنبعثة عما تتوقد به سورية من آمال وعواطف وأحاسيس عنيفة ملتهبة. فابناؤها كانوا الاوائل على المدى حملة الوية الشعر العربي ومعيار النبوغ فيه وبلاغته وسموه . وما انوار هذه النهضة الباهرة إلا اثر من آثارهم الجليلة ، ونبعة من ابتكاراتهم . فهم اول من ابتعث فيه الحياة — وقد كاد يضمحل — في مختلف الوانه وجاهد قولنا كنا كر شروق الناثرة صباح كل يوم . وقد شهد بضلعهم في العربية ، الاوربيون جمعاء من بحثة وكتبة — ولا نقول علماء الاستشراق منهم — ممن نثروا شيئا عن المشرق ، كالكاتب الفحل لويس برتران مثلا ، اذ نعتهم في كتابه العظيم « سراب الشرق » بانهم « ورثة الشعر العربي القديم » وقس على ذلك الكثير من الرواد الكتبة .

وكان القرن الخالي وفجر الحالي ، ميدانا لتجلي هذه الموهبة اذ ظهرت الروايات التمثيلية العربية لاول مرة في سورية . وكان ابتداؤها بعناية المرحوم مارون نقاش اللبناني. ولكن نشوء التمثيل الجدي المفيد حين ظهر الحداد والجميل والمطران وسواهم وعكفوا على التأليف والتعريب فكانت عطيل وتاجر البندقية والسيد وروميو وجوليت والسموأل الخ. وانكشف الميدان عن افراس رهان .

اسعدت ديار سورية ان تختلج فيها هذه البادرة في القرن المحتضر ، غير انها ما عتمت ان انتقلت في عجزه الى ارض النيل والهرم . اثر هجرة احرار السوريين وتركهم وطنا تعسا عزيزا ، خيم عليه دجور الظلم ورعته ذئاب النميمة الناهشة فنزحت مع افئدتهم النابضة حياة وقوة . وجنانهم النابع جرأة وابتكارا نبعة الفن الجديد وروحه الحساس ثم ما لبثت ان عمت هذه الرغبة طائفة لا بأس بها من الكتاب السوريين والمصريين . فاتحفونا بشيء يتراوح بين الابتذال والاجادة وانشئت الفرق التمثيلية وظهر في اشعاعها في القطر المصري المرحوم سلامة حجازي ، ابي التمثيل العربي الغنائي فراجت سوق الروايات ولما كان لا بد للنور من اسداف واعتام . سنة الكون والوجود ظهر بينها ويا أسفا ! عدو ليس باليسير يدرن الاخلاق ويجرحن النفوس ! ولم تلبث ان امتلأت ديار مصر بهذه الحركة المباركة بل القدوة السعيدة نحو رفد الآداب العربية وتدعيمها بهذه الاسس التي كانت للاغريق والرومان ، من اخلب واحب

الفنون الفتانة .

❀ ❀ ❀

هدانا الى هذه التوطئة ما خالجنا من عواطف عنيفة اثر وقوع نسخة الينا من الرواية التمثيلية التي شاءت مخيلة (امير الشعراء !) احمد شوقي بك ، ان تتحف بها العربية . والتي دلت دلالة ظاهرة ان مبدعها ، يهمسه رقي الاداب عن نهج فنون ، هي منها بمثابة الجوهر من العرض وعلمنا حقا اننا عكفنا جدا على التوغل في تذليل الصعاب ، واقامة رواسخ البنيان على اجود الاصول ، في حين أيقنا ان ابداع شاعرنا في جوانبها وغمراتها كفيل له بنيل الغفران ، واعذاره عن تباطؤه وجموده في صدوها الى حيننا هذا .

قرأناها ، فخلبتنا حتى اوهمتنا أو كادت ، اننا نمر على قصة من روائع القصص التمثيلية الغربية . ولو لا تلك الروح الشرقية — التي لا مرد لسؤددها وتغنتها — تعبث بسطورها ، لجزمنا بذلك : وقد كشفت لنا هذه القصة عن نفسية شوقي الحقيقية وشاعريته المستترة . نقول مستترة لان شاعرنا (او «امير الشعراء» على رواية ادبائنا !) لم تظهر شاعريته من قبل ، حيث يلذ له كثيرا الاستتراء وراء حواجز واقامات لا تناسبه ، فيرسل قصائد مزجية باضراب الالفاظ الوقعية ، فتعكس رسمه وتشوه صورته . واننا نجهر ان بين ما اظهره حتى الان من اشعار طائفة عظيمة لانميل لقراءتها ، اذنحملها على التصنع والتجمل فما له في شعره من مزالق ومعاثر ، هي ذلك التقليد الشائن الذي يحاول اجادة سبكه جهده وان نجده وهو يقول بالتجديد : يتشبث بمذهب القدماء ، في رن الالفاظ وزقزقة العبارات ، دون تدبر التفات الى تسلسل المعاني . فالتكلف ظلم بلاغته وضرب عليها استارا حالكة كئيبة ، فاضطربت مبانيه وارتجت مشيداته الرملية بفعل المد والجزر النقدي .

قد يحمل بعض عشاق منظوم شوقي اشارتنا البريئة هذه على غير مبناها — اذ هي طبعا عرضة للمظان — فيقررون اننا نتعنت لغاية في النفس ، ومن ادراك انهم لا يدعون اننا من الجمود والركود ايضا ، نؤثر الاساليب العتيقة ونشنب التجديد في التلميح والتشبيه والاستعارات ؟ في حين اننا لا نذخر وسعا في

ان تنهض بالتبعة الطريفة من التداخيل في اللغة . ولا نألو - والله يعلم - جهدا ولا ندخر مضاء في الثورة على القديم ، وبعثه الى اسفل سافلين : اذا كان هنالك فائدة تنتج ونعترف ايضا بفلونا احيانا في الدعوة للتجديد !

ولست اخالني افجأك بادلائي ان لشوقي مزلق الصبوة الى المعارضـات ، واشباهها ، التي هي من شأن طلاب المدارس اكثر مما هي من منازع الشعراء الفطاحل ، اذ هي الرجعية بذاتها ، الرجعية بما فيها من مثالب ومساقط . ومادة الشعر العصري يجب تشييدها من باعثات الاحساس النفسي وما تنشئه الذكريات من شجون ويدفعه الوجدان من مثيرات ، لا ما يستوحي من قريحة اخرى ويستعار بن تأوهات ، اذ يغدو ما يضمه الشعر عند ذاك ليس سوى عواطف مرائية ، منافقة خداعة تستلب حلل غيرها ، لتسمو بها وتخدع مبصريها بالوانها القزحية ولا اظنك تجهل يا قارئي العزيز ، معارضات شوقي لقصيدة الحصري ولسينية البحتري في التشوق الى مصر ، ولبردة البوصيري في « نهج البردة » وغيرها . وخذ هذا مثالا ناصعا :

يا بنت ذي اللبد المحمي جانبه ... القاك في الغاب ام القاك في الاطم؟

فالشطر الاول يوهمك انه مأخوذ من شطر مطلع قصيدة ابن هانيء الشهيرة :

باينت ذي البرد الطويل نجاده ...

وما اشبه الشطر الثاني بعجز هذا البيت من قصيدة ابن هانيء ايضا :

... وبغى واذي الكرى ام واديك؟

وهنا يا صاح وقفة اخرى لا تقل غرابة ، واغرابا في التقليد عن سابقتها ، اذ تكاد تحدثك تلاوة هذه الابيات ، من صدر قصيدة له :

قفي يا اخت يوشع خبرينا ! ... احاديث القرون الغابرينا

وقصي من مصارعهم علينا ... ومن اخبارهم ما تعلمينا

فمثالك من روى الاخبار طرا ... ومن نسب القبائل اجمعينا

ويا لك هزة اكلت بنيها ... وما ولدوا وتنتظر البنينا

فتهيج اشجانك وقد تمر على ذهنك سحابة الذكرى ، فتخالك تستعرض عقلك مما علق بذاكرتك من قصيدة عمرو بن كلثوم : والتي توهمك بتشابه مطلعها :

قفي قبل التفرق يا ظعينا ! نحدثك اليقين وتخبرينا
قفي نسألك هل احدثت صرما لوشك البين اوخنت اليمينا

افلا تشعر بالريح الهوجاء العاصف ، تهب بك من منحاها بدوية جاهلية ، او بدوية مخضرمة اذا شئتوهو يسأل نسب القبائل ووحشية السنانير ؟ افلا تهاجم منافسك روائح الصحراء الوحشية الكريهة وتستوسطك مواقعة ؟ اما والله لابصرنك تخاتلها وتحاول استدبارها من كل جانب ، كي تجد لك مخرجا لطيفا او كي ترى بين اوارها وجدانا واضطراما عصريا فاذا مخالجها ومباعثها كألفاظها وترسلها جفاوة وقساوة وخشونة . وانك اذا ما صابرتها اشتدت في اثرك فارهقتك واغتالتك !

ولكم تجده في غير هذه يحاول ان يقتفي اثر الجاهلية او المخضرمة في ذكرى البان والعلم والوقوف على الطلول ، وبكاء العهود الخالية ونحوها من مواقف الشعر البائدة ، كقوله مثلا :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الاشهر الحرم
رمن القضاء بعيني جؤذر اسدا ! ياساكن القاع ادرك ما كن لاجم!

ولعمرك ما شر الوجود غير تقلب عواطف بربرية على اختلاجات خفية مدنية واستبطانها مشاعر عصرية يافعة اشاختها ببوستها وعجفها ! عبثا يحاول وباطلا يطلب ، فان رجلا رقيقا متمدنا ، لن يتمكن قط من الشعور او التوسل الى عرض حاسياته ، على استار شعر هجين الوطأة حوشي المنطق ولن يرسم شعره جفاوة الصحراء بما تكتنزه من رائحة الجمال والنياق والبعر والوبر كما يرسلها اعرابي جلف خشن ابرته رمضاء البادية وابلته رمالها . ومحال ان يتآخى المتناقضان : المدنية والتوحش ، ويمل القارئ العصري المجدد ، ان يمر على تلك الهياكل المنشأة من مقالع عفت حجارتها الطبيعة ، او ان يحول بين اجداث قصائد بادية التعفن والنتن . واذا اردت فلاضربن لك مثلا ايضا من نثره ، كي لا تنالني بقارصة ولا بتهمة باطلة . فالمس السجع لم تطلق قيوده وخيمت عليه اطناب العرب فانزله بعليائه الى موطنه وليس للسجع العصري من لذة ومحاسن سوى احراج المترسل لقارئه والتفوق على مخارجه !! وها كها مجلوة من بقعة «الوطن» .

« الوطن موضع الميلاد ، ومجمع اوطار الفؤاد ومضجع الاباء والاجداد ، الدنيا الصغرى وعتبة الدار الاخرى الموروث الوارث الزائل عن حارث الى حارث مؤسس لبان وغارس لجان وحي من فان دواليك حتى يكسف القمران وتسكن هذه الارض من دوران ... »

فياقة ! أأبن ساعدة جديد ؟ وماذا تفهم من هذه الثرثرة المملة؟ أوما يكفيك الان ما ارسلناه لك من امثلة وبراهين ام لا تزال تطالبنا بمزيد غير قانع بتأييدنا او غير راضخ لاحكامنا رضيخة تسليم او تظننا على غير امكان باعداد لك سفرة مكتظة بالدوامغ الثابتة اجل ففي يدنا ما تشاء . واني أعينها منك نظرات صادقة ان تخفق في تفنيدها وتنقيبها ، بعد لجك وحكك ... آه ! لو اردت تعداد جميع محاكاته ومعارضاته واضرابها لهذه الاساليب والمرافق البدوية البائدة لاملتك ، واحرجتك من لجاجك بل اقسمت وجدتك صائحا بي ، ان هل مرادي من هذا البحث هذا المنحى المسئم الكئيب أوليس سواها مسهدي ! . نعم هنالك جم منها ، فما لنا ولها ، وكفانا جزؤها المبسوط ، فقد اطلنا الشرح يا صاح ، فحسبنا اذن من روائح نكرة ما لدينا وحسبنا من شعرائنا هذا الاستخفاف بعواطفنا المنتفضة عياء وتعبا وإلا فما ذنبنا اليهم اذا نبذناهم نبذ النواة واحتقرناهم كأحقر العبيد ، عبيد العادات المنقرضة !

❁❁❁

لقد اطلنا الترسل في بسط قضايانا . فهلم نتفحص هذه الرواية التمثيلية ، فشوقي احب ان يخلد في العربية ذكرى ملكة كانت لها على مصر صولة وسؤدد زمنا ليس بالقصير . فحبك اطراف قصة ، وتنميقها جهده مغدقا عليها من حلل الشعراء اكثرها فضفضة واسماها زهوا . وانه والحق يقال اجاد غاية الاجادة في جمعها (دون تعرض « للنظرات التحليلية » ولنا اليها عودة) وتنسيقها هذا التنسيق البديع ولست اغتابه فاقول اني لم اقرأ لشوقي هذا شعرا اشد نطقا بشاعريته وامتن افصاحا عما يكنه فؤاده من المشاعر الحية الراقية كهذه الفاجعة الشعرية البليغة ، وانت ان تقلبها يأخذك هذا التفنن البادي عليها ويعجبك تأنقه البالغ فيها — وان تكن غير خالية من مزالق سيأتي الكلام على شيء منها —

ولا يسعني إلا ان اقدم لك مثالا ناطقا في مناجاة انطوان (١) لروما وقد احتاط به اليأس فجبن وهمدت همته الحربية وخانته تلك الحميا التي كانت له وهو يخطب جماهير الرومانيين امام جسد يوليوس قيصر . وقف ينظر الى « امه روما » وهو على قصوة منها فيتحسر على ملك ضاع وعز زال ومجد باد . ويعجبك هذا التعانق في العواطف النافضة المتباينة وتستهديك تلك الاستصراخات الحرار تكللها وتزينها ولا غرو ان انطوان في ساعة يأسه الحقيقية تتنازعه أمثال هذه العوامل اليائسة . وإلا ما لجأ الى حكم الموت الفاصل . وان الباحث النفساني في وقائع الانتحار يكشف كثيرا من نزعات مضطربة تجانسها في نبضاتها الهاتفة . فالمنتحر وهو يقدم على فعلته النكراء ترعاه سكرات متباينة يضيع في تيارها ولجتها تعكس عليه النور ظلاما دجورا قد لا يجد له منفذا سوى شبابه وإلا ما انتحر :

روما ! حنانك واغفري لفتاك ... اواه منك ! وآه ما اقساك !
روما ! سلام من طريد شارد ... في الارض وطن نفسه لهلاك !
اليوم يلقى الموت لم يهتف به ... ناع ولا ضجت عليه بواكي
ان الذي اعطاك سلطان الثرى ... لم تنعمي لرفاته بثراك
ان الذي بالامس زنت جبينه ... بالغار عقك جهده وعصاك
الامهات قلوبهن رقيقة ... ما بال قلبك لم يلن لفتاك ؟
اعرضت غضبي في الحياة فرحمة ! ... لا تحرميني في الممات رضاك !
ان كان موتي كل ما تبغينه ... فهناك ! هأنذا اموت هناك !

البقية للتالي

بركات (السودان) ميشيل سليم كميد

١) ان اسمه الروماني الحقيقي هو « انطوان » لا انطونيو ولا انطونيوس كما اراد شوقي . وان اسم والده هو انطونيوس الخطيب للصقم . وقد ذهبنا الى تسميته بانطوان ، سدا للخلط والغلط . وعليه وجب التنبيه والتحذير .

(ل . ع) انطوان اسم فرنسي لانطونيوس الروماني وليس عند اللاتين انطوان والاحسن ان يقال انطونيوس على اصله ومرقس انطونيوس الاطربون حفيد مرقس انطونيوس الخطيب . والاسمان متشابهان بلا ادنى فرق . اذن ليس الخطيب أباه بل جده .